الاسلام و العنف

مقاربة نقدية

د. حفيظة طالب

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية جامعة وهران بن بلة 1

الملخص:

الإسلام دين التوحيد ونهى الله عزوجل عن التطرف والعدوان والتطرف في الدين فيه مشقة وتفريق بين الناس وهذا مخالف لتعاليم الإسلام التي حثنا الله عليها فهو الصد عن سبيل الله وقد حذر الله سبحانه وتعالى من سلوك الاختلاف والتفرقة وأخذ العبرة من الأمم السابقة لقوله تعالى في سورة آل عمران : " وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ 105

الكلمات المفتاحية:

الاسلام، الرحمة، العنف، الاسلاموفوبيا

مقدمة

يشهد العالم انتشارا رهيبا لظواهر مقيتة كالعنف والتطرف والعدوان، وذلك بشكل لم يسبق له مثيل، سواء من حيث الأثر الإرهابي في حدته أو من حيث تمكن الجماعات المتطرفة من استقطاب وتجنيد الآلاف في صفوفها من مختلف الأطياف والألوان والجنسيات، ممن اقتنعوا بالانتساب والقتال تحت راياتها.

ويكمن الخلل في كون هذا العنف -سواء كان فرديا أم منضويا تحت ألوية التنظيمات الإرهابية- أن أغلب العمليات المنسوبة إليه مرتبطة باسم الدين، بل ويتم تمريرها وتبريرها بأنها تأتي لتخليص العالم وتحريره من قوى الشر كأمريكا وأوروبا، إذ يرون أن العالم ينحصر في دائرتين فقط لا ثالث لهما -أو إن شئت قل في قطبين-؛ الأول: قطب وقوى الخير الذي يدّعون أنهم أهلُه ولهم الحق في التصدّر والزعامة فيه، والآخر قطب وقوى الشر الذي يجب أن يبيدوه، وذلك تحت راية الدين كما يزعمون.

ولذا تأتي هذه الدراسة لتطرح رؤية دينية حقيقية مبينة لحقيقة العنف والتطرف والعدوان وكيفية التعامل معه علما وعملا ومنهجا، ونحاول أن نظهر أن الإسلام هو السلام بعينه، ولم يكن أبدا جزءا من المشكلة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لعل أهمية البحث في هذا الموضوع تكمن فيما يلي:

1. لمّا كان التأسيس لمنظومة العنف والتطرف والإرهابي تم من خلال الدفاع وتأييد أفكار الشر باستماتة من قِبل أصحابها، كان لزاما علينا العناية بمرتكزات معتقداتهم من خلال دحضها ونقدها وبيان الرأي السديد و الأصوب فيها.

2. تظهر أيضا أهمية الدراسة في كونها تظهر مكامن الخلل والغلط الذي دخل على المتطرفين من جهة تقرير المقولة المقتضية لأحد الأمرين: "إما أكون أو لا أكون" أو "إما أنا أو أنت"، وهو ما يُسهم في مزيد من الصراع وتأجيج وتأسيس لمظاهر العنف، وفي المقابل يكون هناك تدمير لمبادئ التسامح والتعايش وقبول الآخر، لذا كان البحث في هذا الموضوع من الأهمية بمكان.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

أولا: بيان معاني وحقيقة المصطلحات المرتبطة بالعنف وهي: "التطرف"، "العدوان"، "العنف"، " الإرهاب".

ثانيا: الكشف عن الأسباب والعوامل المختلفة و المتعدة والتي غالبا ما تؤدي إلى نتائج كارثية.

ثالثا: بيان التصور الخاطئ لحاملي الفكر التطرفي لتعاليم الإسلام والذي نتج عنه فيما بعد عنف رآه أهله خيارا حتميا.

رابعا: التعريج على الدوافع غير المشروعة للقائمين على هذه التنظيمات المتطرفة سواء كانت سياسية أم خاضعة لأهواء نفسية وفي حالات أخرى إلى أزمات نفسية.

إشكالية البحث:

ما هي الوسائل التي تمكن من دحض شبهات وتفسيرات المتطرفين وكيف نعيد قراءة النصوص الشرعية التي يصطف خلفها المتطرفون

جعلت هذا البحث ينتظم في مقدمة ومبحثين وخاتمة؛ تناولت في المقدمة التعريف بالموضوع وأهميته وأسباب اختياره وكذا الأهداف فالإشكالية ثم الخطة وأخيرا المنهج المتبع؛ بعد المقدمة شرعت في التعريف بمصطلحات البحث مع عرض النصوص القرآنية و الحديثية النابذة للعنف والتطرف، وجعلت كل هذا في المبحث الأول مقسما إلى مطلبين: الأول: تعلق بمصطلحات البحث وهي: العنف والتطرف والعدوان والإرهاب والثاني استقل ببيان وعرض النصوص القرآنية والحديثية النابذة للعنف والتطرف. واستأثر المبحث الثاني بعرض أسباب التطرف وتقرير سبل مكافحته في مطلبين أيضا- أي عللا النحو الذي سرنا عليه في المبحث الأول من حيث الموازنة بين مطالب كل مبحث، ثم بعد المقدمة والمبحثين ذيلت البحث بخاتمة تناولت فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

المنهج المتبع:

سلكت في هذا البحث منهجا وصفيا يتلاءم مع طبيعته المقتضية للتوصيف الدقيق للأحداث التطرفية وذلك بعد استقرائها، ثم تحليل وبيان الأسباب المفضية إليها، مع التعليق والنقد والتفسير والشرح.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث مع عرض النصوص القرآنية و الحديثية النابذة للعنف والتطرف.

قد جرت عادة الباحثين تقرير المفاهيم قبل تفريع الأحكام عليها، لأنه كما يقول علماء المنطق إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولذا نحن في هذا المقام ارتأينا الشروع في عملية تحديد ماهية المصطلحات مع التعريج على النصوص الشرعية الرافضة جملة وتفصيلا لمبدأ العنف والإرهاب والتطرف، وذلك قبل إبداء الأسباب وسبل المكافحة والعلاج.

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

الفرع الأول: مصطلحا العنف والتطرف.

أولا: **تعريف العنف لغة واصطلاحا**

العنف في اللغة هو خرق الأمر وقلة الرفق به.[1]

والعنف اصطلاحا: هو لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين، حيث يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي، وحين تترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمته. والعنف هو الوسيلة الأكثر شيوعاً لتجنب العدوانية التي تدين الذات الفاشلة بشدة، من خلال توجيه هذه العدوانية إلى الخارج بشكل مستمر، أو دوري وكلما تجاوزت حدود احتمال الشخص.[2]

ثانيا: **تعريف التطرف لغة واصطلاحا**

التطرف في اللغة هو مجاوزة حد الاعتدال[3]

والتطرف في الاصطلاح هو مجانبة الفطرة السليمة واتباع الطريق الخطأ المنهي عنه عرفا أو دينا أو قانونا، أو الخضوع والاستسلام للطبيعة الإنسانية دون قيود.[4]

الفرع الثاني: مصطلحا العدوان والإرهاب.

أولا: **تعريف العدوان لغة واصطلاحا**

العدوان في اللغة يطلق ويراد به: الظلم الصُّراح[5]

وفي الاصطلاح هو تجاوز المقدار المأمور به بالانتهاء إليه والوقوف عنده[6]

ثانيا:**تعريف الإرهاب لغة واصطلاحا:**

كلمة "الإرهاب" في اللغة تعني الإخافة، جاء في لسان العرب:"رَهِبَ بمعنى خاف والاسم الرَّهَبُ، كقوله تعالى: "مِنْ الرَّهْبِ" أي: بمعنى الرهبة، ومنه: لا رهبانية في الإسلام، كاعتناق السلاسل، و

الاختصاء، وما أشبه ذلك مما كانت الرهابنة تتكلفه، وقد وضعها الله عز وجل عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأصلها من الرَّهْبَنَةِ: الخوف، وترك ملاذ الحياة كالنساء" [7]

وفي الاصطلاح تطلق كلمة إرهاب للدلالة على أي فعل يتضمّن إحداث خلل في الوظائف العامة للمجتمع، وينطوي تحتها ألوان متعدّدة من العنف ابتداءً من عمليات اختطاف الطائرات في الفضاء إلى إلقاء القنابل بلا تمييز، إلى عمليات الاختطاف ذات الطابع السياسي، والاغتيال، وحوادث القتل باسم الدين، وإتلاف الملكيات العامة، أي إنه تهديد باستعمال عنف غير عادي لتحقيق غاياته السياسية والدينية، ويستخدم في إحداث تأثير معنوي أكثر منه مادي.[8]

المطلب الثاني: عرض النصوص القرآنية والحديثية النابذة للعنف والتطرف.

الفرع الأول: النصوص القرآنية

- قال تعالى: ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾.[9]

- قال تعالى:﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إِخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾[10]

- قوله تعالى: ﴿لا تغلوا في دينكم﴾.(11)

- قال تعالى: ﴿أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾(12)

- وقال تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إِصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وَعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾.(13)

- وقال جل وعلا: ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا﴾.(14)

- قول الله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم اللّه عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من ديـاركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾.(15)

الفرع الثاني: الأحاديث النبوية.

- عن أَبِي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدين يسر، ولن يشادَّ الدين إلا غلبه، فسدّدوا وقاربوا و أبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُّلجة».(16)

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم»(17)

- عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هلك المتنطعون - قالها ثلاثا-».(18)

- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدايتي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قال حذيفة: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك -وفي رواية بزيادة: إلا أن تروا كفراً بواحاً لكم عليه من الله سلطان»(19)

المبحث الثاني: أسباب حصول ووقوع العنف والتطرف وآليات وطرق مجابهته.

بعد تقرير ماهية الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالعنف والتطرف وأيضا بعد عرض موجز للآي والأحاديث الذي تدعو إلى نبذ جميع أشكال ومظاهر الترهيب والتخويف والإرجاف، سنتناول في هذا المبحث -بإذن الله- أسباب العنف وطرائق مجابهته في مطلبين:

المطلب الأول:أسباب حصول ووقوع العنف والتطرف.

تتعدد العوامل والأسباب المفضية إلى العنف والتطرّف وتختلف أيضا باختلاف الأفراد وأنماط تفكيرهم وخلفياتهم الدينية والسياسة ونحو ذلك، وقد تجتمع هذه الأسباب جلها أو كلها لدى فرد واحد أو مجموعة تشكل تنظيما إرهابا يحمل بعدا محليا أو دوليا، وتمتدّ آثاره إلى المساس بالأمن النفسي والمجتمعي لدى المواطنين وحتى الأنظمة السياسية، وفيما يلي بيان لأهم الأسباب المؤدية لكل أشكال العنف والعدوان، وهما في الحقيقة سببان جعلناهما في فرعين:

الفرع الأول: العوامل والأسباب التي ترجع إلى التصور والفكر

وهي من العوامل المهمة جدا، لأن أفعال الإنسان وتصرفاته ناتجة عن تصور معين لحقيقة تعاليم الإسلام -سواء من حيث الجملة أو من حيث التفصيل- ثم عن تفكير نمطي حول الآليات والتطبيق، فإذا كان الأصل فاسدا -أعني الفكر والتصور- كانت الحقيقة المتوهمة فاسدة وكان الفكر مثلها[20]؛ يقول الدكتور دراز: "... الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحيّة بأن حركاته، وتصرّفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره، ولا يوضع في يده ولا عنقه، ولا يجري في دمه، ولا يسري في عضلاته وأعصابه، وإنما هو معنى إنساني روحاني اسمه الدين والعقيدة".

الفرع الثاني: الأسباب التي ترجع إلى جانب اقتصادي أو عامل اجتماعي.

يعتبر الاقتصاد في أي دولة من الدول–خاصة غير المتطورة- من الأسباب الفاعلة جدا والمحرّكة والداعية إلى العنف والتطرف في العالم؛ كما أن تعاقب وتتالي الأزمات الاقتصادية وعدم تعافي الدول الضعيفة منها له تأثير شديد على المجتمعات من حيث حدة العنف والعدوان فتصير تلك المجتمعات مراتع خصيبة للتنظيمات والجماعات الإرهابية، لأنه يسهل على القائمين عليها استقطاب الشباب البائس والمشرد البطال خاصة مع ما يشعرون به من إحباط ومرارة ينضاف إليها عدم تكافؤ الفرص، كل هذا وذاك يشكل ردة فعل قوية لدى هؤلاء متى سنحت لهم الفرصة، وإذا انضم إلى كل هذا عدم وجود توجيه سديد وسليم، فلا محالة ولا ريب أن سيقعون اليوم أو غدا ضحايا للجماعات المتطرفة[21].

المطلب الثاني: آليات وطرق مجابهة العنف والتطرف.

لقد أثبت الأحداث الكثيرة في السنين الأخيرة أن شريحة الشباب هم أكثر استهدافا من قبل الجماعات الإرهابية، خاصة الفئة الهشة التي تُعاني من عدم الحصانة الثقافية، لذلك تعيّن تحصينهم بالإجراءات والتدابير الوقائية دينيا وثقافيا من شرَكِ الوقوع في المحذور،وذلك على مختلف الجهات، أهمها جهتان:

الفرع الأول: الجهة الدينية

إن تفشّي المنكرات والكبائر دون أن يكون هناك إنكار أو محاولة جادّة لتغييرها سبب رئيس لحدوث الفتن والحروب والقلاقل في البلاد[22]؛ ومما لا يختلف فيه اثنان أن التشدّد تقابله ردّة فعل مساوية له في القوة أو أشد، والنتيجة غالبا ما تكون كارثية.[23]

يجب على المؤسسات الدينية أن يكون القائمون عليها لهم دور هام في تحييد الشباب المسلم عن التطرف، ويساعدونهم على فهم الدين الصحيح ، لذلك وجب مراقبة هذه المؤسسات بصفة دورية، وإبعاد كلّ من ليس أهلاً لذلك المنصب من إصدار أي فتوى شرعية، مع توعية الناس بشأن عظم الفتوى وخطورة الخوض فيها من غير تحقيق للشروط التي نص عليها الفقهاء.

الفرع الثاني: الجهة الأسرية والاجتماعية

وأما على المستوى الأسري أو الجهة الأسرية فينبغي أن نفكر وأن نتباحث في قضية زواج الشباب المسلم، وذلك من حيث إعداد برامج تأهيلية لهم من أجل توعيتهم بالأدوار المنوطة بهم، وذلك نحو تأهيل البنات والفتيات والنساء على حسن القيام بالأدوار الزوجية والأمومية، وكذلك الأمر بالنسبة للشباب من حيث تأطيرهم على القيام بالدور الزوجي والأبوي في آن واحد، فكثيرة هي الزيجات التي تفشل بسبب عدم الوعي بمسؤوليات هذه الأدوار وعدم الاستعداد لتقبّل هذه المسؤوليات أو عدم

فهمها من هنا نشأت الفجوة بين الأهل والأولاد؛ والتأهيل يجب أن يكون تأهيلاً مستمرّاً بحيث يتمّ التأهيل على مستوى المستجدّات والأمور الطارئة التي على الشباب مواجهتها وعلى الوالدين مساعدة هؤلاء الشباب في مواجهتها وأهم هذه المشكلات هي القضاء على أوقات الفراغ لدى الشباب.[24]

الخاتمة

أولا: **النتائج**

أولا:لقد أثبت الأحداث الكثيرة في السنين الأخيرة أن شريحة الشباب هم أكثر استهدافا للعدوان، خاصة الفئة الهشة التي تُعاني من عدم الحصانة الثقافية، لذلك تعيّن تحصينهم بالإجراءات والتدابير الوقائية دينيا وثقافيا من شرَكِ الوقوع في المحذور،وذلك على مختلف الجهات، أهمها جهتان:جهة دينية وجهة أسرية واجتماعية

ثانيا: التطرف هو مجانبة الفطرة السليمة و إتباع الطريق الخطأ المنهي عنه عرفا أو دينا أو قانونا، أو الخضوع والاستسلام للطبيعة الإنسانية دون قيود.

ثالثا:العدوان هو تجاوز المقدار المأمور به بالانتهاء إليه والوقوف عنده.

رابعا : العوامل والأسباب المفضية إلى العنف والتطرّف تتنوع وهي ليست على شاكلة واحدة وقد تجتمع في شخص واحد أو أشخاص وقد تكون أهم الأسباب المؤدية لكل أشكال العنف هما التصور والفكر، والجوانب الاقتصادية الاجتماعية.

ثانيا: **التوصيات.**

- جعل الرجل المناسب في المكان المناسب، وذلك من خلال إسناد المهام لعلماء أكفاء مخلصين حقيقيين وأيضا تعزيز دورهم في نشر الوعي لمكافحة ومجابهة التطرف والعنف وتجفيف منابعهما.

- الحث على نشر التسامح ونبذ العنصرية، كما ينصح بتحري الدقة والأمانة والموضوعية في نقل الأخبار وعرضها، خاصة ما كان متعلقا بهذه القضايا.

- دعوة الجامعات والمعاهد العلمية والدينية إلى إبراز تسامح الإسلام وإظهاره على ما هو عليه بصورته براقة مُشرقة، والتركيز على المنظومة الأخلاقية فيه كقيم التسامح والتعايش وقبول الآخر والمحبة والسلام والتعاون على البر والخير.

الهوامش:

1-القاموس المحيط للفيروز أبادي، ج3ص178

2-التخلف الاجتماعي لمصطفى حجازي، ص263

3-المعجم الوسيط، ج2ص555

4-مقال منشور على الأنترنت على موقع:

www.annabaa.org

5-المصباح المنير للفيومي، ج2ص397

6-الكليات لأبي البقاء الكفوي، ص922

6-لسان العرب لابن منظور ج8 ص337

7-الإرهاب التهديد والردّ عليه لموريس إريك، ص34

8-سورة البقرة: 229

9-سورة آل عمران: 103

10-سورة النساء: 171

11-سورة المائدة: 32

12-سورة الأعراف: 157

13-سورة هود: 112

14-سورة الممتحنة: 8 – 9

15- رواه البخاري (39)؛ ومسلم (2816)

16-أخرجه ابن ماجه (3029)؛ والحاكم (1711)؛ و البيهقي (9806)

17-رواه مسلم (2670)

18-أخرجه مسلم (1847)

19-الإرهاب بين التدمير والتبرير لسلطان العيد - بحث منشور على الإنترنت.

20-كتاب الدين لدراز، ص223 .

21-كمال حماد. الإرهاب والمقاومة في ضوء القانون الدولي لكمال حماد، ص43.

22-الإرهاب الأسباب والعلاجلعصام الجفري-بحث منشور في مؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب، المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

23-الأنساق الاجتماعية ودورها في مقاومة الإرهاب والتطرّف، لعبد الله بن عبد العزيز،مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض 1427هـ – 2006م.

24-من جهود المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب، موقف الإسلام من الإرهاب سعيد بن عائض الزهراني،

قائمة المراجع:

- الإرهاب الأسباب والعلاج لعصام الجفري، بحث منشور في مؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب، المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض خلال الفترة من 1-3 ربيع الأول(1425ه).

- الإرهاب التهديد والردّ عليه لموريس إريك (1991)، ترجمة الدكتور أحمد محمود، القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الإرهاب بين التدمير والتبرير لسلطان العيد، منشور على الإنترنت.

- الإرهاب والمقاومة في ضوء القانون الدولي لكمال حماد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، (2003).

- الأنساق الاجتماعية ودورها في مقاومة الإرهاب والتطرّف، عبد الله بن عبد العزيز، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض (2006م).

- المعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين، دار الدعوة، القاهرة، مصر.

- لسان العرب لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، (1976).

- مقال منشور على الأنترنت على موقع: www.annabaa.org

- موقف الإسلام من الإرهاب لسعيد بن عائض الزهراني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض(1425ه).